

تفسير ابن كثير

* قُلْ أَنتَ كُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا^ج ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ

هذا إنكار من الله على المشركين الذين عبدوا معه غيره ، وهو الخالق لكل شيء ، القاهر لكل شيء ، المقدر لكل شيء ، فقال : (قل أنتكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أندادا) أي : نظراء وأمثالا تعبدونها معه (ذلك رب العالمين) أي : الخالق للأشياء هو رب العالمين كلهم . وهذا المكان فيه تفصيل لقوله تعالى : (خلق السموات والأرض في ستة أيام) [الأعراف : 54] ، ففصل هاهنا ما يختص بالأرض مما اختص بالسماء ، فذكر أنه خلق الأرض أولا ؛ لأنها كالأساس ، والأصل أن يبدأ بالأساس ، ثم بعده بالسقف ، كما قال : (هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات) الآية [البقرة : 29] ، فأما قوله : (أنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والأرض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها متاعا لكم ولأنعامكم) [النازعات : 27 - 33]

[ففي هذه الآية أن دحي الأرض كان بعد خلق السماء ، فالدحي هو مفسر بقوله :)
أخرج منها ماءها ومرعاها (، وكان هذا بعد خلق السماء ، فأما خلق الأرض فقبل خلق
السماء بالنص ، وبهذا أجاب ابن عباس فيما ذكره البخاري عند تفسير هذه الآية من
صحيحه ، فإنه قال : وقال المنهال ، عن سعيد بن جبير قال : قال رجل لابن عباس : إني
أجد في القرآن أشياء تختلف علي قال : (فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) [
المؤمنون : 101] ، (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) [الصافات : 27] ، (ولا
يكتُمون الله حديثا) [النساء : 42] ، (والله ربنا ما كنا مشركين) [الأنعام : 23] ،
فقد كتموا في هذه الآية ؟ وقال : (أم السماء بناها) إلى قوله : (دحاها) [النازعات :
27 - 30] ، فذكر خلق السماء قبل [خلق] الأرض ثم قال : (قل أئنكم لتكفرون
بالذي خلق الأرض في يومين) إلى قوله : (طائعين) فذكر في هذه خلق الأرض قبل
خلق السماء ؟ وقال : (وكان الله غفورا رحيما) [النساء : 96] ، (عزيزا حكيما) [
النساء : 56] ، (سميعا بصيرا) [النساء : 58] ، فكأنه كان ثم مضى . قال - يعني ابن
عباس - : (فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) في النفخة الأولى ، ثم ينفخ في الصور

، (فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله) [الزمر : 68] ، فلا
أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون ، ثم في النفخة الأخرى (وأقبل بعضهم على بعض
يتساءلون) وأما قوله : (ما كنا مشركين) (ولا يكتُمون الله حديثا) ، فإن الله يغفر
لأهل الإخلاص ذنوبهم فقال المشركون : تعالوا نقول : " لم نكن مشركين " ، فيختم
على أفواههم ، فتنطق أيديهم ، فعند ذلك يعرف أن الله لا يكتُم حديثا ، وعنده (يود
الذين كفروا) الآية [الحجر : 2] . وخلق الأرض في يومين ، ثم خلق السماء ، ثم
استوى إلى السماء ، فسواهن في يومين آخرين ، ثم دحى الأرض ، ودحيتها : أن أخرج
منها الماء والمرعى ، وخلق الجبال والجماد والآكام وما بينهما في يومين آخرين ، فذلك
قوله : (دحاها) وقوله (خلق الأرض في يومين) فخلقت الأرض وما فيها من شيء في
أربعة أيام ، وخلقت السماوات في يومين . (وكان الله غفورا رحيما) [النساء : 96] ،
سمى نفسه بذلك ، وذلك قوله ، أي : لم يزل كذلك ؛ فإن الله لم يرد شيئا إلا أصاب به
الذي أراد ، فلا يختلفن عليك القرآن ، فإن كلا من عند الله عز وجل . قال البخاري :
حدثني يوسف بن عدي ، حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن المنهال

- هو ابن عمرو - بالحديث .فقوله : (خلق الأرض في يومين) يعني : يوم الأحد ويوم

الاثنين .